

الإمام ابن عطية الأندلسي ومنهجه في تفسيره المحرر الوجيز

الأستاذ أحمد قواسم
إمام أستاذ، مسجد الفرقان، باب الزوار، الجزائري

وحجة على الناس أجمعين.
ولذا كان الانشغال بهذا الكتاب
العظيم تعلمًا وتعليمًا من أجل
الأعمال، وأرفع الخصال، وكذلك
الكتابة في علومه، والتأمل فيها من
أجل المطالب، وأعلى المراتب التي
تستحق أن تفتنى فيها الأعمار.

ولبيان عظمة هذا القرآن، وما
فيه من صنوف العلوم؛ فقد اهتم
علماء الإسلام - سلفًا وخلفًا - في
التصنيف في فنونه، وبيان هديه
ونوره للناس، ومن هذه العلوم التي
لها حظ وافر، ونصيب زاخر في
التأليف والتصنيف، تفسير كلام الله،
وقد حوت كثير من كتب المفسرين
على علوم وفوائد وفوائد - خاصة

الحمد لله رب العالمين،
الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له ولي الصالحين، وأشهد
أن محمدًا عبده ورسوله، المبعوث
رحمة الله للعالمين، وخاتم الأنبياء
والمرسلين، وقائد الغر المحجلين،
اللهم صلّ وسلم عليه، وعلى آله
وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى
يوم الدين. وبعد:

فالقرآن الكريم، كتاب الله الخالد،
ومعجزة رسوله محمد ﷺ وهو
التور والشفاء، والهدى والضياء، فتح
الله به آذانًا صماء، وأعينًا عمياء، وقلوبًا
غلفًا، وهدى به من الضلالة، وبصر
به من الجهالة، وجعله إمامًا للمتقين،

الرَّحْمَن)، بن غالب بن تَمَام بن عبد
الرَّؤُوف بن عبد الله بن تمام بن
عطية الغرناطي⁽³⁾.

وكان مولده سنة إحدى وثمانين
وأربعمئة⁽⁴⁾. فقد عاش ابن عطية
في النصف الثاني من القرن
الخامس والنصف الأول من القرن
السادس الهجريين، وهو عصر
عرف من الناحية السياسية سيطرة
دولة المرابطين (434هـ - 541هـ)
على منطقة المغرب الإسلامي، فقد
ولد - رحمه الله - في فترة عزٍّ وتمكين
للدين والمسلمين.

ومن الناحية الاجتماعية عرفت
هذه الفترة تراجعاً كبيراً في الصراع
والتنافس الطبقي والعرقي الذي ما
فتى يفتك بدول المغرب الإسلامي
الواحدة تلو الأخرى، وذلك أن
المرابطين استطاعوا أن يجمعوا بين
العرب والبربر وسكان الأندلس
الأصليين سواء المسلمون منهم أو
النصارى... وذلك بسبب التعامل
بالوازع المشترك بين الجميع ألا

الأصيلة منها، ومن أهم تلك العلوم
المضمنة "علم القراءات القرآنية"،
وكان من بين هؤلاء العلماء الأفاضل
الإمام المفسر عبد الحق بن عطية
الأندلسي ت 541هـ صاحب التفسير
المشهور: "بالمحرر الوجيز"،
فتفسيره هذا من أجل وأرفع وأنفع
التفاسير، وهو محط أنظار أهل
العلم عامة، وأهل القراءات والعربية
خاصة؛ إذ يعدّ - هذا التفسير - المرجع
الأهم لمن يريد الوقوف على وجوه
إعراب ألفاظ القرآن ودقائق مسائله
النحوية.

نبذة تعريفية بالإمام ابن عطية:

هو عبد الحق بن غالب بن عبد
الرحمن بن عبد الرؤوف بن تمام
بن عبد الله بن تمام بن عطية بن
خالد بن عطية بن خالد بن خفاف
بن أسلم بن مكرم المحاربي⁽¹⁾.

ويكنى: أبا محمد⁽²⁾ وقد ذكر
الإمام السيوطي في بغية الوعاة
أن اسمه: (عبد الرحيم، وقيل عبد

والفقه والنحو واللغة والأدب مقيداً
حسن التقييد، له نظم ونثر، ولي
القضاء بمدينة ألمرية، وكان غاية
في الذكاء والذكاء والتهمم بالعلم،
سريّ الهمة في اقتناء الكتب، ولمّا
ولي توخّي الحقّ وعدل في الحكم
وأعز الخطة»⁽⁸⁾.

وقال ابن الزبير: «كان فقيها
جليلاً؛ عارفاً بالإحكام والحديث
والتفسير نحوياً لغوياً أديباً بارعاً،
شاعراً مفيداً ضابطاً سنياً، فاضلاً
من بيت علم وجلالة، غاية في
توقّد الذهن وحسن الفهم وجلالة
التصرف»⁽⁹⁾.

وقال السيوطي: «وألّف تفسير
القرآن العظيم؛ وهو أصدق شاهد
له بإمامته في العربية وغيرها»⁽¹⁰⁾.
وله (فهرست) ضمّنه مروياته وأسماء
شيوخه⁽¹¹⁾.

نبذة عن تفسير المحرّر الوجيز
لابن عطية:

يبدو أنّ ابن عطية لم يضع عنواناً

وهو وازع العقيدة والدين.
كلّ هذا هياً الأرضية لحركة
علمية راقية اصطلاح عليها البعض
«بالانفجار الفقهي»⁽⁵⁾ حيث برز علماء
أعلام في مختلف العلوم والفنون؛
فمن أشهرهم وأبرزهم في علوم
الشرعية: القاضي أبو علي الصّفي
السرّسطيّ (480هـ)، وابن عبد البرّ
(486هـ)، وإبراهيم بن جعفر اللواتي
المعروف بابن الفاسيّ (513هـ)، وأبو
الوليد محمّد بن أحمد بن رشد الجدّد
(520هـ)، ومحمّد بن أحمد التجيّبيّ
المعروف بابن الحاج (529هـ)،
والقاضي أبو بكر بن العربيّ (543هـ)،
والقاضي عياض السبتي (544هـ).

ولّي ابن عطية القضاء بمدينة
ألمرية في شهر الحرّم 529هـ، كما
ولي القضاء بمدينة مرسية غير أنّه
ضدّ عنها وصرف منها إلى لورقة
حيث توفي سنة 541هـ⁽⁶⁾.

قال عنه ابن فرحون⁽⁷⁾: «وكان
القاضي أبو محمّد، عبد الحقّ فقيها
عالماً بالتفسير والأحكام والحديث



محددًا لتفسيره والمتأمل والنّاظر في مقدمته يتأكد من ذلك، بل كلّ من عاصره أو جاء بعده بقليل لم يذكروا هذه التسمية، وإنّما اكتفوا بنعته بتفسير ابن عطية، ومن هؤلاء:

- ابن عميرة الضّبّي (ت 599هـ): ذكر ذلك في كتابه بغية الملتمس في رجال الأندلس؛ حيث أشار أنّ ابن عطية ألّف في التّفسير كتابًا ضخماً أربى فيه عن كلّ من تقدّم (12).

- ابن الآبار (ت 658هـ): ذكر ذلك في كتابه المعجم في أصحاب أبي علي الصّدي؛ حيث قال: «وتأليفه في التّفسير جليل الفائدة، كتبه النّاس كثيراً وسمعوا منه وأخذوه عنه» (13).

وقد سار على نفس المنوال كلّ من: علي بن سعيد (ت 675هـ) (14)، وابن جزري (ت 741هـ) (15)، وأبو حيان (ت 745هـ) (16)، وابن خلدون (ت 808هـ) (17)، والسّيوطي (ت 911هـ) (18). حيث لم يسمّوا تفسيره بالاسم المعروف الآن، وإنّما

اقتصروا بنسبته إليه (19).

وبعضهم سمّاه بـ: «الوجيز» كمعاصره ابن بشكوال (20) حيث قال: «وألّف كتابه المسمّى بالوجيز في التّفسير وأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيّته كلّ مطار» (21).

وأبو الحسن التّباهي (ت 800هـ) حيث قال: «وألّف كتابه المسمّى بالوجيز في التّفسير، فجاء من أحسن تفسير، وأبدع تصنيف» (23).

ويبدو أنّ هذه التّسمية غلبت عليه من جهتين اثنتين:

أولهما: كونها وصفا ينطبق تمام الانطباق عليه؛ فهو بالمقارنة إلى كتب التّفسير التي كانت متداولة في زمانه يعدّ مختصراً وجيزاً.

وثانيهما: قوله في مقدّمة تفسيره: «وقصدت إلى أن يكون جامعا وجيزا محرّرا» (24).

- وأمّا أوّل من أطلق عليه تسمية: «المحرّر الوجيز» فيرى العلامة

صحة ما جاء فيه من دقة معلوماته،
وتحرير مسأله بأسلوب علمي
رصين؛ حيث قال في هذا الصدد
الإمام أبو حيان الأندلسي: «أجلُّ
مَنْ صَنَّفَ فِي التَّفْسِيرِ، وَأَفْضَلُ مَنْ
تَعَرَّضَ فِيهِ لِلتَّنْقِيحِ وَالتَّحْرِيرِ»⁽²⁸⁾.

وقال محمد بن أحمد بن جزي
الكلبي⁽²⁹⁾ في كتابه التسهيل لعلوم
التنزيل: «وأما ابن عطية فكتابه في
التفسير أحسن التأليف وأعدلها؛
فإنه اطلع على تأليف من قبله
فهذبها ولخصها، وهو مع ذلك
حسن العبارة مسدد النظر محافظ
على السنة»⁽³⁰⁾.

وقال ابن تيمية: «تفسير ابن عطية
خير من تفسير الزمخشري، وأصح
نقلاً وبحثاً، وأبعد عن البدع، وإن
اشتمل على بعضها، بل هو خير منه
بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير،
لكن تفسير ابن جرير أصح من هذه
كلها»⁽³¹⁾، ولعل في كلام ابن تيمية
- رحمه الله - نوع من الشدة والغلظة
في الحكم على تفسير ابن عطية

محمد فاضل بن عاشور⁽²⁵⁾ أنه
صاحب كشف الظنون⁽²⁶⁾، وكذلك
يرى الدكتور عبد الوهاب فايد⁽²⁷⁾؛
ولعله استنبط هذا الاسم من قول
ابن عطية المتقدم.

بما أن عنوان الكتاب ليس من
وضع صاحبه؛ فإننا نكتفي بالإشارة
إلى أن واضعه، أو واضعوه - بالأحرى
- لاحظوا في تفسير ابن عطية هذين
الملحقين:

أ - التحرير: نسبة الأقوال إلى
أصحابه، كثرة فوائده، تنوع علومه،
ترتب معانيهن تجنب أقوال أهل
الإلحاد والرمز، والباطن، التوسع
في إيراد القراءات، تبيين المعاني
ومحتملات الألفاظ.

ب - الإيجاز: لا يذكر من
القصص إلا ما لا بد منه، وله تعلق
بالآية، حذف فضول الأقوال.

ولقد ترك ابن عطية ثروة
علمية كبيرة أودعها تفسيره المحرر
الوجيز؛ الذي أجمع أهل العلم على

بعض الأحيان - درجتها من الصّحة، الأمر الذي أخذ عليه في تفسيره، بالإضافة إلى إيراده لبعض الأحاديث بغير سند أو نسبة إلى مصادرها⁽³⁴⁾، كما كان يتخيّر من أقوال الصحابة والتابعين أصحّها وأقربها إلى المقصد الشرعيّ. ثم إن ابن عطية - رحمه الله - لم يهمل ويستبعد عقله عن التحليل والمناقشة والتقدّم؛ بل أطلق له العنان في ذلك، متكئاً ومرتكزاً أساساً على علوم اللّغة؛ دلالة وبنية وتركيباً؛ إذ يقول - رحمه الله - معللاً توسّعه هذا: «وقصدتّ تتبّع الألفاظ حتّى لا يقع طفر كما في كثير من كتب المفسّرين»⁽³⁵⁾؛ ممّا يرجّح أنّه زاوج في تفسيره بين المأثور والمعقول.

2 - إيراده القراءات الصّحيحة والشاذّة وتوجيهه لها: إنّ المتأمل والمتصفّح لتفسير ابن عطية يلفت نظره ويشدّ انتباهه كثرة الاستشهاد بالقراءات؛ فهو من المكثرين منها؛ وذلك لكثرة وتعدّد مصادره التي ما

الذي رام أشياء ربّما لم يجد لها ابن تيمية إلاّ مخرجا واحدا يتوافق ومذهبه في الحكم على الآراء والتوجهات.

منهجه فيه:

لقد نهج الإمام ابن عطية في تفسيره «المحرر الوجيز» أسلوباً غاية في الدقّة والوضوح ممّا ينمّ عن نبوغ وذكاء جمعا له نتاج جهد ومصابرة في الطلب؛ فجاء تفسيره مستفتحا وممهّدا له بمقدّمة انطوت على كثير من مباحث علوم القرآن؛ وما كان تخصيص المستشرق الألماني (آرثر جفري)⁽³²⁾ لها بتأليف مستقلّ⁽³³⁾ إلاّ دليلاً على أهمّية ونفاسة ما جاء فيها، ولعلنا نوجز فيما يأتي أهمّ المعالم التي بنى عليها منهجه في التفسير:

1 - جمعه بين المأثور والرأي: فابن عطية يميل إلى تفسير القرآن بالقرآن، والمأثور من الأحاديث النبوية الشريفة التي لم يتحرّر - في

بالتَّبَع والاستقراء نجد ابن عطية - رحمه الله - قد فاته كثير من القراءات الصحيحة بله الشاذة منها، ومن أمثلة ذلك:

تركه لقراءة يعقوب؛ وهي من القراءات الثلاثة المكملة للعشر الصحيحة في: (ولا خوف)؛ من قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽³⁷⁾ حيث قال: «وقرأ ابن محيصن: (فلا خوف) دون تنوين في الفاء المرفوعة فليل ذلك تخفيف»⁽³⁸⁾ دون ذكره لقراءة يعقوب، قال ابن الجزري⁽³⁹⁾: «واختلفوا في: تنوين فلا خوف عليهم... فقرأ يعقوب (لا خوف عليهم) حيث وقعت؛ بفتح الفاء وحذف التنوين، وقرأ الباكون بالرفع والتنوين»⁽⁴⁰⁾.

ب - بدؤه في أغلب الأحيان بإيراد القراءات المتواترة قبل الشاذة: ومن الأمثلة على ذلك؛ قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن

برحت أن تكون بين تفسير وقراءات ولغة منضوية في طيات تفسيره، ولعل من أبرز من أفاد منهم: ابن مجاهد، ومكي بن أبي طالب، وأبو عليّ الفارسي، وأبو عمرو الداني، والكسائي، وأبو بكر النقاش، وأبو عبد الله المالقي، وأبو الحسن الأخفش، وأبو عبيد البكري، وابن سيده، وأبو جعفر النحاس، وأبو الفتح ابن جنّي، وأبو إسحاق الزجاج، وأبو العباس المبرد، وأبو إسحاق الثعلبي، وأبو البركات الأنباري... ومع ذلك لا يعدّ تفسيره هذا مرجعا في القراءات، وهو ما يعطي له العذر في عدم الدقة في ضبط وتوجيه ونسبة بعض القراءات. ويمكن في هذا الصدد ذكر ما يأتي:

أ - التزامه بإيراد القراءات كلّها بما في ذلك القراءة الشاذة: بما يوحى للقارئ أنّه أتى عليها كلّها جميعا، وقد صرح بذلك فقال: «وقصدت إيراد جميع القراءات مستعملها وشاذها»⁽³⁶⁾. غير أنّه

عطية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بَعِيرَ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁽⁴³⁾، حيث قال: «وقرأ جمهور الناس⁽⁴⁴⁾: (ويقتلون الذين)، وقرأ حمزة وجماعة من غير السبعة: (ويقاتلون الذين) وفي مصحف ابن مسعود: (وقاتلوا الذين)، وقرأها الأعمش، وكلها متوجهة وأبينها قراءة الجمهور»⁽⁴⁵⁾.

ومع ذلك قد يبدأ بذكر الشاذ منها قبل الصحيح؛ ومثال ذلك: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنكحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁶⁾، حيث قال: «قرأ الحسن بن أبي الحسن: (من عبيدكم)، والجمهور على (عبادكم)؛ والمعنى واحد، إلا أن قرينة الترفيع بالنكاح⁽⁴⁷⁾ يؤيد قراءة الجمهور»⁽⁴⁸⁾.

وليس معنى ذلك تفضيله

يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾⁽⁴¹⁾، حيث قال: «ومعنى (ويشهد الله)؛ أي يقول الله يعلم أنني أقول حقًا، وقرأ أبو حيوه وابن محيصن: (ويشهد الله) بإسناد الفعل إلى اسم الجلالة؛ والمعنى: يعجبك قوله، والله يعلم منه خلاف ما قال، والقراءة التي للجماعة أبلغ في ذمه؛ لأنه قوى على نفسه التزام الكلام الحسن، ثم ظهر من باطنه خلافه، و(ما في قلبه): مختلف بحسب القراءتين؛ فعلى قراءة الجمهور هو الخير الذي يظهر؛ أي هو في قلبه بزعمه، وعلى قراءة ابن محيصن هو الشر الباطن، وقرأ ابن عباس: (والله يشهد على ما في قلبه)، وقرأ أبي، وابن مسعود: «ويستشهد الله على ما في قلبه»⁽⁴²⁾. ولا يخفى هاهنا تقديمه قراءة الجمهور على قراءة أبي حيوه وابن محيصن، وابن عباس، وأبي، وابن مسعود.

ومن الأمثلة أيضا: قول ابن

وترجيحه للشاذ على الصحيح.

ج . اهتمامه واحتفاؤه بذكر القراءات السبعة فقط . غالباً . دون الثلاث المكملة للعشرة: ولا أدل على ذلك من الأمثلة الآتية: قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لِقَمْنُ لِابْنِهِ - وَهُوَ يَعِظُهُ - يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾⁽⁴⁹⁾، حيث قال: «وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (يا بني) بالشّد والكسر في الياء في الثلاثة على إدغام إحدى الياءين في الأخرى»⁽⁵⁰⁾.

ومن الأمثلة أيضاً: قوله عند تفسيره قوله تعالى: ﴿تُرْجَى مِنْ نَشَاءٍ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مِنْ نَشَاءٍ وَمِنْ أَنْبَغِيَتٍ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ عَيْنَهُنَّ وَلَا يُخْرَجَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَأْتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً﴾⁽⁵¹⁾: «وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم

(ترجئ) بالهمز، وقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة والكسائي (ترجي) بغير همز، وهما لغتان»⁽⁵²⁾.

د - إيراده . في بعض الأحيان . قراءة السبعة مع القراءة الشاذة دون الثلاث المكملة للعشرة: ومن الأمثلة على ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ﴾⁽⁵³⁾، حيث قال: «وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم ﴿سَحَابٍ﴾ وهو بناء المبالغة، وقرأ عاصم أيضاً والأعمش (بكل ساحر)⁽⁵⁴⁾. ولم يذكر قراءة بقية القراء الثلاث المكملة للعشرة. ومثال ذلك أيضاً قوله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَأْتَيْنَهُمْ وَلِيَتَمَنَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁵⁾: «وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ﴿وَلِيَتَمَنَعُوا﴾ بكسر اللام، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (وليتمتعوا) بسكون اللام على صيغة الأمر التي هي للوعيد والتهديد، والواو على هذا عاطفة جملة كلام، لا عاطفة فعل على فعل، وفي مصحف أبي بن كعب

و . توجيهه للقراءات⁽⁵⁹⁾: يتضح بالاطّلاع على منهج ابن عطية في التعامل مع الاحتجاج للقراءات أنّه لم يكن مجرد ناقل لأقوال من سبقه من اللّغويين والنّحاة بل كان ممحصاً ناقداً موجّهاً.

ولعلّ من أمثلة ذلك ما يأتي:
 عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ زُؤُوسٌ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾⁽⁶⁰⁾؛ حيث قال: «والقراءتان عندي سواء لأنّ المخاطب في الآية محصور: بأنّه كلّ من لم يذر ما بقي من الرّبا، فإن قيل لهم: (فأذنوا) فقد عمّهم الأمر، وإن قيل لهم: (فأذنوا) بالمدّ فالمعنى أنفسكم وبعضكم بعضاً...»⁽⁶¹⁾؛ بعد أن ذكر توجيهه كلّ من سبويه الذي رام قراءة المدّ: (فأذنوا)؛ والتي دلّت على الإعلام، وتوجيهه أبي علي الذي رام قراءة القصر: (فأذنوا)؛ والتي دلّت على العلم. فلم يكتف

(فتمتعوا فسوف تعلمون)، وفي قراءة ابن مسعود (لسوف تعلمون) باللام⁽⁵⁶⁾.

ففي ما تقدّم نجد ابن عطية . رحمه الله تعالى . يورد اختلاف القراء السبعة مع أصحاب الشّواذّ دون ذكر لاختلاف القراء الثلاثة.

هـ . عدم إيراده لقراءة خلف العاشر إطلاقاً، ولعلّ السّبب في ذلك أنّ ابن عطية لم يعتبرها قراءة مستقلة لكونها لا تخرج عن السّبعة؛ وهذا ما ذهب إليه غير واحد من العلماء على غرار الإمام البغويّ؛ الذي قال في مقدمة تفسيره: «وقد ذكرت في الكتاب قراءاتٍ من اشتهر منهم بالقراءة»⁽⁵⁷⁾؛ ولم يأت على ذكر قراءة خلف العاشر، والإمام ابن الجزري الذي نوّه إلى عدم مخالفة خلف لقراءة الكوفيين إلا حرفاً واحداً، حيث قال: «تبتعت اختياره فلم أراه يخرج عن قراءة الكوفيين في حرف واحد، بل ولا عن حمزة والكسائي وأبي بكر إلا في حرف واحد»⁽⁵⁸⁾.

أبو محمد بن عطية من المتأخرين بالمغرب، فلخص تلك التفسير كلها، وتحري ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى»⁽⁶³⁾.

4. لا يرى الأخذ بأقوال الباطنية والملاحدة، ويرد الأقوال التي يراها باطلة تنحو إلى الرمز؛ فهو يتحري الدقة والصواب ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فهو محرر بالفعل.

5. كما اعتمد ابن عطية في منهجه على نقولات كثير ممن سبقه من المفسرين، نص على ذلك في مقدمته حيث قال: «وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح - رضوان الله عليهم»⁽⁶⁴⁾، وقد قال عنه ابن خلدون في مقدمته: «فلخص تلك التفسير كلها»⁽⁶⁵⁾.

6. حفل تفسيره بكثير من الشعر، والصناعة النحوية: والأمثلة أكثر من أن تحصى.

بذكر الرأيين بل ذكر رأيه والذي يحتمل المعنيين اللغويين معا، وغيرها من الأمثلة.

3. ومن أبرز ما امتاز به منهج ابن عطية هو عدم الاستشهاد بالإسرائيليات، وقد ذكر هذا المعنى بقوله: «لا أذكر من القصص إلا ما لا تنفك الآية إلا به»⁽⁶²⁾ وقد عرف بهذا الاتجاه حتى مدحه العلماء بذلك؛ قال ابن خلدون: «وتساهل المفسرون في مثل ذلك النقل عن أهل الكتاب الذين دخلوا في الإسلام؛ مثل كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام وأمثالهم، وملؤوا كتب التفسير بهذه المنقولات، وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك، إلا أنهم بعد صيئهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ، فلما رجع الناس إلى التحقيق والتحصيص، وجاء

مختصرات له أو شارحة أو مقتدية بطريقته ومنهجه؛ وهذا يستدعي بحثاً يتناول توثيق هذا التأثير الواسع من حيث البحث في أشكاله المنهجية وامتداداته الزمنية.

وفي الأخير أسأل الله العليّ القدير أن تكون دراستي هذه مساهمة في خدمة القرآن الكريم. وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، إنه هو السميع العليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وعلى العموم فإنّ ابن عطية رسم لنفسه منهجا علميا متقنا أصّل فيه لعلم التفسير بأسلوب رائق بديع؛ زاوج فيه بين المادة العلمية الغزيرة وبين الاختصار والتحرير.

فابن عطية يعتبر - بحق - عمدة المفسرين عند المغاربة فكلّ من جاء بعده منهم عالة عليه نهل من كتابه وتأثر به، وجلّ التّفاسير المغربية بعد المحرّر الوجيز لم تخرج في الغالب الأعمّ عن كونها

الهوامش

(5) ينظر، مجلة دعوة الحق العددان 164 و165 مقال: صورة العالم الإسلامي في التّصف الأخير من القرن الخامس الهجري. لأسرة التحرير. والمقصود بالفقه في عرف المغاربة قديما وحديثاً علوم الشريعة الفقه وأصوله وعلوم القرآن والحديث وهي علوم لم تكن تفصل عن بعضها البعض ويسمى الملتبس بها فقيها، وحمله كثير من متقدمي الأندلس والمعاصرين على المفهوم الاصطلاحي

(1) بغية الوعاة: 73/2.

(2) الدّيباج المذهب: 57/2.

(3) بغية الوعاة: 73/2، وينظر: تاريخ قضاة الأندلس، أبو الحسن بن عبد الله بن الحسين الأندلسي/ تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربي ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت - لبنان، سنة: 1983م، 109/1.

(4) الدّيباج المذهب: 58/2، وبغية الرعاة:

73/2، وتاريخ قضاة الأندلس: 109/1،

ونفح الطّيب: 527/2.

- 376.
- (13) المعجم في أصحاب أبي علي الصّديفي
ابن الأبار. ص: 261.
- (14) نفع الطيب: 179/3.
- (15) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم،
محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الله،
ابن جزّي الكلبيّ الغرناطيّ / تحقيق:
الدكتور عبد الله الخالديّ، ط 1، شركة
دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان،
سنة: 1416 هـ: 10/1
- (16) البحر المحيط: 9/1.
- (17) مقدمة ابن خلدون، ص: 998.
- (18) بغية الوعاة، ص: 295.
- (19) ينظر دراسة الأستاذ مجد مكّي في
مقدّمة تفسير ابن عطية، طبعة دار ابن
حزم، سنة: 2002م، ص: 7 . 8.
- (20) أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن
مسعود بن موسى بن بشكوال بن يوسف
بن داحة الأنصاري، الأندلسي، القرطبي
الإمام، ولد: سنة أربع وتسعين وأربع
مائة، و، توفي إلى رحمة الله في: ثامن
شهر رمضان، سنة ثمان وسبعين وخمس
مائة، وله أربع وثمانون سنة، ودفن بمقبرة
- للفقه، وبعضهم إنّما يريد بذلك الطعن
في دولة المرابطين ونسبته للجمود
والاشتغال بفروع الفقه دون باقي العلوم
والفنون.
- (6) تاريخ قضاة الأندلس: 109/1، ونفع
الطيب: 526/2.
- (7) إبراهيم بن علي بن محمّد بن أبي القاسم
فرحون بن محمّد بن فرحون اليعمري،
قاضي المدينة التّبوّية برهان الدّين أبو
إسحاق، المعروف بابن فرحون المالكي،،
مات يوم عيد الأضحى سنة تسع وتسعين
وسبعمائة بالمدينة النبوية ومولده بعد سنة
ثلاثين وسبعمائة، ينظر: ذيل التّقييد في
رواة السنن والأسانيد، ص: 435.
- (8) الدّيباج المذهب: 57 / 2، ونقله عنه في
نفع الطّيب: 526 / 2.
- (9) بغية الوعاة: 73/2.
- (10) . بغية الوعاة: 73/2.
- (11) المرجعان السّابقان.
- (12) بغية الملتمس في رجال الأندلس، لابن
عميرة الضّبيّ أحمد بن يحيى بن أحمد
بن عميرة، أبو جعفر الضّبي، دار الكاتب
العربي - القاهرة، سنة: 1967 م، ص:

أو الحاج خليفة ط1، مكتبة المثنى . بغداد
(وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم
صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي
ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)،
سنة: 1941م، 1613/2.

(27) نظر مقدمة ابن عطية في تفسيره: 1 / 9
(وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر
(الطبعة الثانية، وما بين المعكوفين ذكره
د فايد في (منهج ابن عطية) ص 82،)
(28) البحر المحيط: 112/1.

(29) محمد بن أحمد بن جزي الكلبّي: يكنى
أبا القاسم من أهل غرناطة توفي شهيداً
يوم الكائنة بطريف في عام أحد وأربعين
وسبعمائة . رحمه الله تعالى . ينظر: الديباج
المذهب: 276/2، والأعلام للزركلي:
98/6.

(30) التسهيل لعلوم التنزيل: 20/1.

(31) مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد
بن عبد الحلیم بن تيمية الحرّاني، أبو
العباس/تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار
ط3، دار الوفاء، سنة: 2005 م، 388/13.

(32) آرثر جفري: ولد آرثر جيفري Arthur
Jeffery في ملبورن بأستراليا في الثامن

قرطبة، بقرب قبر يحيى بن يحيى الليثي
الفيقيه، ينظر: سير أعلام النبلاء: 125/21.
(21) الإحاطة: 412/3، والديباج: 58/2.

(22) علي بن عبد الله بن محمد بن محمد
ابن الحسن الجذامي المالقي النباهي،
أبو الحسن، المعروف بابن الحسن: من
الأدباء المؤرخين، ولد بمالقة، ورحل إلى
غرناطة، ثم ولي خطة القضاء بها، ينظر:
الأعلام للزركلي: 306/4.

(23) تاريخ قضاة الأندلس: 109/1.

(24) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،
أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية
الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد
الشافعي محمد، ط 1، دار الكتب العلمية
. لبنان، سنة: 1993م: 34/1.

(25) التفسير ورجاله، محمد الفاضل ابن
عاشور، ط1، دار السلام للطباعة والنشر
والتوزيع والترجمة، القاهرة . مصر، ودار
سحنون للنشر والتوزيع، تونس، سنة:
2008م، ص: 72.

(26) كشف الظنون عن أسامي الكتب
والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي
القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة

- بن يوسف، تحقيق: علي محمد الضباع
المطبعة التجارية الكبرى. 211/2.
- (41) سورة البقرة/204.
- (42) المحرّر الوجيز: 265/1.
- (43) سورة آل عمران/21.
- (44) فابن عطية تارة يورد القراءة معزّوة لأصحابها، وكثيرا ما كان يورد ألفاظا عامّة كمثل: الجمهور من الناس، وبعض من الناس، وجمهور القراء وعمامة القراء، وأكثر القراء، وبعض القراء، وجماعة من القراء، وفرقة؛ ويقصد بذلك أكثر القراء من العشرة وغيرهم، ينظر: المحرّر الوجيز: 389/2، 465/2، 108/3، 50/5، 353/4...
- (45) المحرر الوجيز: 415 / 1.
- (46) سورة النور/32.
- (47) ويبدو أن الترفيع هاهنا يقصد به: رفع المنزلة والمكانة بلفظ العباد بدل العبيد.
- (48) المحرّر الوجيز: 180/4.
- (49) سورة لقمان/13.
- (50) المرجع نفسه 348/4.
- (51) سورة الأحزاب/51.
- (52) المرجع نفسه: 392/4.

- عشر من أكتوبر عام 1892، وتخرج من جامعة ملبورن عام 1918. ينظر:
The Muslim World, Volume 50
247-(1960)، pp. 230
- (33) بالإضافة إلى مقدّمة تفسيرية أخرى، بعنوان: مقدّمتان في علوم القرآن؛ نشر في القاهرة، سنة: 1954 م.
- (34) مثال ذلك: استشهاده بحديث النبي ﷺ لماسئل عن الراسخين في العلم فقال هو من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قوله؛ وأورده بغير سند ولا نسبة لمصدر.
ينظر: المحرّر الوجيز: 406/1.
- (35) المحرّر الوجيز: 34/1.
- (36) المرجع نفسه: 35/1.
- (37) سورة البقرة/112.
- (38) المحرّر الوجيز: 183/1.
- (39) ابن الجزري: أحمد بن محمد بن محمد، أبو بكر، شهاب الدين ابن الجزري: مقرئ، دمشقي المولد والوفاة. أخذ عن أبيه وغيره مات يه (سنة: 833)، ينظر: الأعلام للزركلي: 227/1.
- (40) النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد

(59) ويقصد بذلك: بيان صحتها من جهة

العربية...

(60) سورة البقرة/279.

(61) المحرر الوجيز: 375/1.

(62) المرجع نفسه: 34/1.

(63) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن

محمد بن خلدون وليّ الدين، ط: 1،

تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار

يعرب، سنة: 2004م. 175/2، 176.

(64) المحرر الوجيز: 34/1.

(65) مقدمة ابن خلدون: 176/2.

(53) سورة الشعراء/37.

(54) المرجع نفسه: 230/4.

(55) سورة العنكبوت/66.

(56) المرجع نفسه: 325/4.

(57) معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو

محمد الحسين بن مسعود البغوي / حقه

وخرّج أحاديثه محمد عبد الله التمر،

عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم

الحرش، ط4، دار طيبة للنشر والتوزيع،

سنة: 1997 م، 37/1.

(58) النّشر في القراءات العشر: 191/1.

